مسابقة الفلسفة للطلاب السنة التوجيهية (٢) :

غاية الأخلاق عند أرسطو

للأستاذ كمال دسوقي

قلت لك في حديثي الأول إنه يتعمل وتكلف كبيرين تستطيع أن تقتطع نظرية الخير والسعادة لأرسطو لدراستها ودعمتها. فإن هذه النظرية جزء من أخلاقه، والأخلاق جزء من مذهبه، والمذهب في جملته صورة للفيلسوف وعصره وبيئته.

ومن ثم، فانه لكي تفهم الجزء المطلوب إليك دراسته حق الفهم، يجب أن تضعه في مكانه من الهيكل العام للفلسفة الأرسطية يجب أن تلم بحياة الفيلسوف، وتصنيف كتبه وترتيبها، ثم بمذهبه في المنطق والطبيعة وما وراء الطبيعة ثم الأخلاق والسياسة، إلماماً تستطيع معه أن تتبين مبلغ الانسجام في عناصر المذهب الأرسطي كله في صلته بالبيئة اليونانية.

ليس تاريخ حياة الفيلسوف ذا أهمية إلا بمقدار ما يلقي من ضوء على جوانب فلسفته وما يكشف عن بواعث آرائه وفكره. وسترى أرسطوا في أخلاقه - كما هو في كل نواحي فلسفته، رجلا واقعياً تجريبياً تقوم آراؤه على منطق المشاهدة. ونتائج الملاحظة، في عصر مشبع بالخيال الأفلاطوني، والمثالية المتطرفة والأدب والفن ... وذلك لما تيسر له من التربية الصحيحة في البلاط المقدوني حيث الترف والتفرغ للعلم وجمع النماذج والإحصاءات ... هذه التربية التي لم تستطع العشرون سنة التي قضاها في أكاديمية أفلاطون أن تغير من أثرها القوي، فما يزال يختلف مع أستاذه حتى يتخرج عليه - أو يتوفى هذا عنه - أبعد ما يكونان في منهج كل منهما وفلسفته :

يختلف المنهج عند أرسطو عنه عند أفلاطون. فان هذا الأخير يسير على طريقة أستاذه سقراط في الحوار والجدل (الديالكتيك) الذي أدخله لأول مرة في اليونان زينون الإيلي في دفاعه عن وحدة أستاذه برميندس وسكونه بحججه المشهورة، والذي عد أفلاطون إمامه وعمدته حتى أثر به في الأدب اليوناني خمسين سنة كما يقول المؤرخون.

أما أسلوب أرسطو فأسلوب علمي رصين، تذهب به الدقة والتحديد في الألفاظ والمصطلحات إلى حد الغموض أحياناً، ولكنها لا تؤدي به إلى استطراد أو إيجاز يخل أحدهما بمدلول القول. قد يكون هذا التقسيم لكتبه إلى أبوابها وفصولها وفقراتها بهذه البراعة والأحكام من عمل الشراح الكثيرين الذين تتلمذوا على أرسطو تسعة عشر قرنا أو تزيد (حتى بعد عصر النهضة الأوربية بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر)، ولكن مما لا شك فيه

أنها من وضعهم، وما أقدرهم على الكذب، وإنما اخترت هذه الحكاية دون غيرها لأنها من رواية عالم هو الصفدي عن متصوف هو عبد الغني الفقير، قال سامحه الله :

« لما مات الملك المنصور قلاوون - أستاذ أرجواش - قال لي :

أحضر لي مقرئين، يقرءون ختمة للسلطان، فأحضرت إليه جماعة جعلوا يقرءون القراءة العادية، فأحضر أرجواش سيفاً وقال: كيف تقرءون للسلطان هذه القراءة ! إقرءوا عالياً، فضجوا بالقراءة جهدهم، فلما فرغوا منها قلت : « يا خوند » أي يا سيد فرغت الختمة، فقال : يقرءون أخرى »، فقرءوها وقزوا كثيراً ليفرغوا، فلما انتهوا أعلمته وطلبت لهم أجرهم، فقال : ويلك ! السماء ثلاثة والأرض ثلاثة، والأيام ثلاثة، والمعادن ثلاثة، وكل ما في الدنيا ثلاثة ! يقرءون. فذهبت إليهم وأخبرتهم بالخبر، وقلت : احمدوا الله تعالى على أنه ما علم أن هذه الأشياء سبعة سبعة. فلما فرغوا من الثلاثة، وقد هلكوا من صراخهم طلبت أجرهم، فقال : اكتب عليهم حجة أن ثواب هذه الختمات لمولانا السلطان دون غيره، ففعلت ذلك وجئت إليه بالحجة، فقال : هذا جيد وصرف لهم أجرتهم. » ويعقب المؤرخون على ذلك بقولهم :

حكى عن أرجواش حكايات كثيرة، تدل على تغفل كبير، وتلحقه بعقلاء المجانين، وإن مصر لتصيح وقد مرّ على أرجواش نحو سبعة قرون : ألا ليتكم أيها المؤرخون والعلماء والمتصوفون في مثل غفلة أرجواش وشجاعته وأياديه على بلاده.

عطية الشيخ

مفتش المعارف بالمنيا

أن هؤلاء الأتباع والمفسرين ما كانوا ليصلوا إلى تصنيفها بهذه الدقة والسهولة والنظام ، لو لم تكن هي مرتبة في فكر صاحبها وفي كتاباته بهذه الصورة .

وإنك لتلمس لأرسطو منهجا خاصا في دراسة موضوعات كتبه مما تقرأ في موضوع الأخلاق الذي أنت بسبيله : فانه إذ يحدد لك منذ البدء غاية دراسته التي يهدف إليها تحديداً واضحاً بالأمثلة يسرد لك كل ماقيل حول هذه الدراسة من آراء . وهنا يقال إن أرسطو كان معلوماته أوسع مافي زمانه ، وأنه في مرحلة دراسته الطويلة التي قاربت الاربعين سنة قد استوعب كافة النظريات في العلم والفلسفة التي ظهرت ، فهو يورد لك طرفاً منها فيستبعد الخاطىء بعد نقده ، ويستبقي الصواب بعد إنصافه وحده ، فيتقصى مشاكله ويزيد عليه بما يتأدى إلى النتيجة السليمة والحل الواقعي الصحيح.. والأخلاق لها عند أرسطو منهج يستقيه من مشاهدة واقع الحياة وملاحظة أمور الناس؛ وهو المنهج العلمي الصحيح لهذا العلم في عصرنا الحديث كما يقول به فلاسفة الإنجليز من الاخلاقيين . فعلى الأخلاق في نظرهم أن تعرض للدراسة ما هو كائن فعلا لا كما يجب أن يكون

والاخلاق مكانها من فلسفة أرسطو ، فإن لأرسطو في هذا الفن كتابين آخرين غير الاخلاق النيقوماخية المنسوب إلى نيقوماخوس nichemaque ابن أرسطو من زوجته الثـــانية أوبليس ، الذي خلد في شخصه إسم أبيه هو ، وخلد هـذا في كتاب الاخلاق الذي أهداه إليه . أما الـكتابان الآخران في الاخلاق ، فأحدهما يسمى الاخلاق إلى أوديموس، وهو أسبق من أخلاق نيقوماخوس وأقل دقة وأحكاماً . والثـــاني يسمى الاخلاق الكبرى . وفيه يلخص أرسطو في مقالتين اثنتين ماسبق أن أورده في الـكتابين آنفي الذكر .

والمكان الذي أريدك أن تضع فيه الأخلاق الأرسطية بهذا المعنى وفي مصادرها هذه أحب أن تنظر إليه من ثلاثة وجوه : مكان دراسة الأخلاق من مراحل حياة أرسطو ذاتها ، في أي مرحلة هي ؛ وهـذه المصادر ذاتها أين يأتي ترتيبها في جملة مؤلفات أرسطو حسب تصنيف المؤرخين لها ؛ ثم أخيرا الأخلاق كعلم وفن أين موقعها من العلوم الأخرى .

أما من حيث مكان الدراسـة الأخلاقية من حياة أرسطو فنستطيع أن نقول إنها تأتي في دور الاستاذية من هذه الحياة — خصوصاً الـكتاب الذي بين أيدينا . وذلك لما تحمل هذه الـكتب من أسماء تظن بها أن تجعل أرسطو من أصحابها في موقف الأب أو الأستاذ — من ناحية ، ومن ناحية أخرى لرسوخ قلمه وثبات فكره فيما يتعلق بدراساتها ، فإن حياة أرسطو يمتدُّ الطلب فيها (طلب العـلم) حتى الثامنة والثلاثين ، والرحلة والسفر وتثقيف الاسكندر حتى الخمسين ، ثم يأتي دور الاوقيون والأستاذية والتأليف حتى الثالثة والستين ، كما تجدون من تصفح تاريخ حياته .

أما موضع مصادر الأخلاق الارسطية من بقية كتبه ولوحة مؤلفاته ، فيأتي — حسب تصنيف أندرونيقوس الرودسي لجملة كتابات أرسطو — في المجموعة الرابعة ، إذ تشمل المجموعة الأولى الـكتب المنطقية بوصف المنطق مدخل العلوم ومقدمتها ، أو الإيساغوجي كما يسميه مناطقة العرب؛ وبوصفه علم العقل أو الآلة أو الأورغانون organum كما يقول أرسطو نفسه . ولابد من تقديم العلم الذي يفحص الاداة الفكرية قبل فحص الأفكار التي تمخضت عنها هذه الأداة ذاتها ؛ ثم تأتي في المقام الثاني كتب الطبيعة ، ومنها طبيعيات كبرى تبحث في المبادىء العامة المشتركة في جميع الأشياء والطبائع؛ وطبيعيات صغرى تعرض لدراسة أمور جزئية بعينها والمجموعة الثالثـة يسميها الشارح مابعد الطبيعـة : أي التي تأتي في الدور والترتيب بعد كتب الطبيعة وسماها البعض ما وراء الطبيعة، باعتبار ما تعرض له من أمور لا تمت إلى الطبيعة ولا إلى الحس بسبب ، بل هي إلى الأمور الـكلية المجردة والمبدأ الأول وعلة العلل أقرب والحرف méta في إسم هذا العلم métaphysique يحتمل التأويلين . وعلى كل حال فان فلاسفة العرب يسمون هذا العلم الفلسفة الأولى أو العلم الإلهي .

وبعد هذه العلوم النظرية بأقسامها الثلاثة تأتي العلوم العلمية والفنية؛ فالمجموعة الرابعة مختصة بكتب الأخلاق وكتب السياسة والخامسة خاصة بكتب الأدب والشعر والفن . فإن أرسطو قد كتب حتى في هذه الشئون ، وما تدرس في تاريخ آداب اللغات من أقسام القصة وأنواع الشعر والخطابة وغيرها أنت مدين به لأرسطو — هذا المارد الجبار الذي لم يدع علماً ولا فناً إلا سبق في

الكتابة فيه ؛ والذى يعيش الفكر الإنسانى عالة عليه مهما جدد أو تقدم .

ولن يعسر عليك - بعد إذ وقفت على تصنيف كتب أرسطو أن تبين موضع الأخلاق فى لوحة العلوم وقائمة المعارف عنده ، لما هنالك من تقارب كبير بين تقسيم العلوم عنده وتصنيف الشراح لكتبه . فان العلم ينقسم عند أرسطو - باعتبار الغاية التى يؤدى اليها - الى نظرى وعملى .

فالنظرى غايته العلم والمعرفة لذاتها أبتغاء الوصول إلى الحقيقة . فإن تعلق العلم والمعرفة بموجود هو مادة وحس وحركة فهو العلم الطبيعى ، وإن تعلق بموجودات مجردة عن هذه ولكنها كم ومقدار فهو العلم الرياضى . وإن كانت مطلقة التجريد عن ذلك كله فالعلم الإلهى أو الميتا فيزيقا .

أما العلم العملى فليس الغرض منه مجرد الوقوف على الحقيقة أو الحق le vrai وبالانجليزية truth أعنى العلم للعلم والمعرفة لذاتها كالعلم النظرى ، بل يتجاوز ذلك إلى العمل والتدبير . فموضوعة الخير le bon وبالانجليزية goodness فان كان الخير الذى تنشده يتعلق بالانسان وحده وفى ذاته فذلك علم الأخلاق . وإن تعلق بأسرته ومن يعاملهم من أهله فذلك تدبير المنزل ؛ وإن أمتد ليتناول تدبير أمور المملكة أو الدولة جميعها من حيث هى مجموعة فذلك علم السياسة .

أرأيت إذن أين يضع أرسطو علم الأخلاق من لوحة علومه ؟ هو أول العلوم العملية التى تدبر أمر الإنسان بما هو إنسان . فان شئت بعد هذا أن ترجع معى إلى هذا التصنيف الذى توسع به فلاسفة العرب ونقله منهم الفارابى وابن سينا وغيرهم ، فلاحظ ما يأتى :

(١) لم يدخل أرسطو فى هذا التصنيف علم المنطق لأنه إعتبره مدخلا ومقدمة كما قلنا . وإنما أحل محله العلم الرياضى بعد أن تقدم عليه الطبيعى ، وأن لم يؤلف هو فى الرياضة كتباً مستقلة .

(٢) أن العلوم النظرية تتدرج حسب نزوعها إلى التجريد - فاليتا فيزيقا أرقاها ، ولهذا يسميها العرب العلم الأول (الطبيعيات) والأوسط (الرياضيات) والأعلى (الإلهيات) .

(٣) والعلوم العملية تتدرج من الوحدة إلى الكثرة ومن تدبير شئون الفرد إلى تدبير شئون الدولة .

(٤) والعلم النظرى أشرف من العملى لأنه يراد به كمال العقل الانسانى . كما أن العلم العملى أشرف من الفنى لأنه يدبر أمر الإنسان ويتعلق به بينما يعمل الفن فى الأشياء والمحسوسات .

وذلك بعض ما نجد فى فلسفة أرسطو فى ترتيب وأنتظام ومذهبية .

وإنك بعد هذا لجدير بأن تقدم على قراءة أرسطو وتحليله معى بأفق أوسع وفهم جديد ، حين نلتقى مرة ثالثة فى الحديث المقبل إن شاء الله.

كمال وسرقى

الشعر المصرى فى مائة عام

للأستاذ سيد كيلانى

الحالة السياسية والاجتماعية والفكرية

من ١٨٨٢ — ١٩١٩

— ٦ —

احتل الإنجليز البلاد المصرية فى عام ١٨٨٢ م فبدأ بذلك عهد جديد أخلد المصريون فيه إلى الهدوء والسكينة ، وأخذت الحالة المالية تتحسن يوما بعد يوم، فعم الرخاء واستتب الأمن وانتشرت الطمأنينة وساد العدل وسارت البلاد فى طريق التحضر بخطى واسعة . وأقبل المصريون على التعلم فكثرت المدارس والمطابع والصحف والمجلات . وراجت سوق الكتب ؛ وجد الناس فى طبع الكتب القديمة وترجمة روائع الأدب الغربى ، وشعر الجميع بعجز اللغة العربية وقصورها عن مسايرة النهضة العلمية الحديثة . ففكروا فى إصلاحها واختلفوا فى طريقة الإصلاح . وقد ظهر أثر تلك الحركة عند الشعراء ، فنظم حافظ ابراهيم قصيدة على لسان اللغة العربية قال فيها .

أنا البحر فى أحشائه الدر كامن فهل سألوا الغواص عن صدفاتى

ثم أخذ الروح الوطنى فى الظهور والنمو حتى جاء مصطفى كامل فالتف حوله الشبان والشيوخ ، وازدهرت الصحف الوطنية وجدت